

المرأة في إطار العنف المؤسّس والمقدس قراءة أنثروبولوجية للقربان البشري والبراءة

Women in the context of sanctified and institutionalized violence: an anthropological reading of human sacrifice and virginity

أ.د/بن فرحات فتيحة

قسم العلوم الاجتماعية

جامعة البلدية 02

ملخص:

إن البحث في مكانين الدونية والقهر المسلطين على المرأة بالضرورة يلزمنا العودة إلى الثقافات الإنسانية عبر المكانة التي كانت تحتلها المرأة وكذا نظرة الأفراد إليها وتصورهم عنها كذات واعية وتسليط أنواع من العنف على المرأة كعنف الخطاب واللفظ ووسمها بمختلف الصفات والسمات الداعية إلى حجرها وكبتها في الحضارات البائدة أو السائدة على مرّ العصور ومختلف الأصقاع، ومنها ممارسات أخذت منحى واتجاه عنيف ووحشي لكن بطابع قدسي، مؤسّس سمح بإراقة الدماء، بتر الأعضاء، التشويه القتل، تقديم أجزاء معينة للآلهة من أشلاء عناصرها بشرية وأخرى حيوانية، وقد طالت هذه الممارسات المرأة كأحد العناصر المقدمة للآلهة، وكذا بعض الممارسات التي تطلبت رموزية أخرى كما يؤكد علماء الأنثروبولوجيا فيما يتعلق باللون الأحمر أو الدم المقدم المتطلب وجوده في ممارسات اجتماعية سنحاول التطرق عبر هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: المرأة، العنف ضد المرأة، القربان ، العذرية.

Abstract;

To study the origins of subjugation and oppression imposed upon women, it is essential to revisit human cultures and the roles that women have historically occupied within them. This inquiry also entails an examination of how individuals have perceived women as conscious entities. Throughout history and across diverse regions, women have endured various forms of violence, including verbal abuse, derogatory language, and the attribution of various attributes designed to confine and suppress them. Some of these practices assumed a violent and cruel character but were simultaneously imbued with sanctity. They permitted the

shedding of blood, bodily amputation, mutilation, and ritual sacrifice. In some cases, specific body parts, both human and animal, were presented to deities as offerings in which women were often included. Additionally, some rituals required specific symbolic elements, such as the color red or the offering of blood, which were integral to social customs. Anthropologists have emphasized the significance of these elements in various societal practices. In this article, we endeavor to provide a nuanced exploration of these phenomena.

Keywords: Women, Violence Against Women, Sacrifice, Virginity.

1) مدخل عام حول المرأة والعنف :

تبين القراءات أن العنف ضد الرفق، ويعني اعتماد القوة والعدوان والهدم والبطش والأخذ بالشدة والإساءة إلى الآخر في نفسه وماله وعرضه والبت و القتل أو التغييب الكلي عن الوجود والحياة، والعنف موجود في كل دقائق أمورنا (الأحاديث، المعاملات، العلاقات...) وهو ينحو في اتجاهين أحدهما مادي وآخر معنوي، وله أنواع تقع في باب العنف الاجتماعي، كذلك العلاقة التي تربط المرأة بالآخر (حب، كره، بغض...) وأغلبه لفظي كالدونية الملتصقة بها والتهديد والسب... الخ، بينما الجانب المادي فهو ما تعلق بالمساح بالنفس والجسد أي الوجود الجسدي كالضرب والجرح والبت والقتل، إن العنف بأنواعه (جسدي أو نفسي) عد أقدم رفيق عرفه الإنسان، ومن المرجح أن الإنسان البدائي، حينما أتاحت له أولى ومضات العقل، أن يصنع بعض الأسلحة البدائية للدفاع عن نفسه، استعملها أيضا ليفتك بأمثاله (فريق من الاختصاصيين، 1993، ص 5). وأشكال العنف هذه اتخذت عدة مظاهر منها المعقول ومنها الغير معقول الممارس بدافع كامن في النفس والعقلية البشرية، فقد كان لها معاني كامنة وخفية مارستها الجماعات البشرية، كما مورس فرديًا، كممارسة تلحق الأذى أو تمس حق الآخر في الحياة.

وما يهمننا في هذا المجال هو نوع من العنف خاض فيه الأنثروبولوجيين والاجتماعيين معا وكلاهما أسس لمفهوم العنف المقدس يعني ممارسته في ميدان قدسي يحتوي مختلف أشكاله ولاسيما العبادة، بحيث يعتبر العنف وجهها من وجوها وكأنه ممارس لطقس من طقوسها، سواء في حالات سفك الدماء في القتال أو الأضاحي البشرية، رمزية كانت أم حقيقية... وما بعض الاحتفالات التي يجلد فيها الإنسان نفسه، سوى أنواع من العنف المقدس (رينيه جرار، العنف المقدس، ت : جهاد هواس، عبد الهادي عباس، 1992، ص 8).

ذلك النوع من العنف الذي يقدم عليه الإنسان بإرادته، ويتلذذ بممارسته ويجد له المباركة من طرف هيئات ومجموعات تدين به، والتبرير يرتبط بالجمال المقدس فحينما يضيف عليه صفة القداسة فإن الجماعة تسعى إلى ممارسته وتسعى أيضا إلى تنفيذه وإستمراره لأن في ذلك تنفيذ لإرادة السماء وأوامر الآلهة، الخالق، الرب، ويبدو أن هذه الممارسات قد حصدت أرواحا بشرية بمباركة جماعية، كما شوهدت أجزاء من أجساد بشرية في عمليات احتفالية تحت غطاء المقدس المفضي إلى عبادة قوة أو خوف من قوة أعلى ماورائية (الآلهة) أو بشرية (حاكم، ولي، مالك...))

والممارسات التي نعينها مع هذه العقيدة مست المرأة كجزء من المجتمع كما مسّت فئات أخرى كانت معها في نفس الدرجة (الدونية، القهرية...)، عادات وممارسات عمد الإنسان إلى تقديسها تمثلت في تقديم القرابين البشرية (فتيات، جوازي... إلخ) وأيضا عادات اجتماعية أقرها المجتمع وتواصلت في فكره ومنظومته الثقافية تشمل المفاهيم والقيم المتراكمة المفضية إلى العنف التي تحترم كمقدسات ومنها مجال العيب، الشرف، العار المتعلق بأجزاء من كيان المرأة تتطلب الصون والحفاظة والعنف يكون هنا بالتهديد والوعيد والضرب وحتى القتل والثأر. وبوسعنا الإشارة إلى مجموع الممارسات التي عرفها الإنسان منذ القديم ووسمت بالقداسة سواء كانت الممارسات أسطورية أو إجتماعية لها بقايا إلى يومنا هذا.

2- المرأة ومسيرة القران البشري :

بالإمكان التعرف على الحضارات الإنسانية عن طريق مجموع الممارسات والعقائد البسيطة والمعقدة، وإن بدت البعض من الممارسات تلقائية أو عديمة الأهمية إلا أنها تمدّنا بنظام حضاري ومعاني زاخرة وظاهرة القرابين البشرية من أهم الممارسات التي عرفها الإنسان باختلاف أشكالها، فهي تكشف عن عالم مليء بالمفاهيم والرموز والمعاني الحضارية المختلفة والغريبة لارتباطها بالطقوس والشعائر الدينية والمعتقدات الأسطورية أو الممارسات الغرائبية، الوحشية والمخيفة التي لم يتوانى البشر عن ممارستها والاحتفاء بها بمختلف الأشكال والألوان (قران بشري، حيواني، تعذيب النفس...) وضحايا القرابين معروفة لدى الكثير من الأمم، قدمت باسم الآلهة وإرضاء للآلهة، لذلك اتخذت طابع قدسي، يمارس في ميدان قدسي (معبد...)، تعبّدي (صلوات...) لا يحق للفرد (المرأة...) المساس به أو ولوجه أو الاعتراض عليه.

3) مفهوم القران :

القربان لغة من قَرَّب وقرب ويقترَب، فالقربان وسيلة تقَرَّب واقتِراب ومشاركة وإذابة للمسافات بين العابد والمعبود (القمني سيد محمود، 1993، ص 93)، بينما مفهوم الأضحية هو في الإنجليزية Sacrifice بمعنى التضحية والذبح للآلهة وهي الأضحية والذبيحة وتعني أيضا الخسارة والتضحية بشيء من أجل شيء آخر، والأضحية في اللغة العربية من التضحية (فعل) يحمل معنى الخسارة والتنازل عن شيء نملكه، كما يحمل أيضا معنى فداء الآخرين، ومعنى النبل، فهي خسارة شخصية من أجل كسب أكبر وأهم للجماعة كلها (القمني سيد محمود، 1993، ص 103).

وفي جانب آخر يحمل معنى الضحية معنى الفدية أي التضحية الاختيارية بالذات من أجل سلامة الجماعة كلها، ويدخل ضمنه معنى الشهادة أو الاستشهاد وبذل النفس وهو في نظر الجماعة مقدس، نظرا لقداسة فدائته وتضحيته التي ترفع عنه الخطايا (في حالة البشر)، خاصة إذا رافق العملية إراقة الدم، لأن الدم يحمل قدسية وقيمة اجتماعية لممارسة العنف القرباني المثمن.

والقربان يعرف دائما كوسيط بين مضحي وألوهية (رينيه جرار، نفس المرجع، ص 21). بينما التضحية تستقطب حول الضحية أسباب الفتن المنتشرة في كل مكان وهي تبدد أسباب الفتن هذه بعرضها عليها إشباعا جزئيا (رينيه جرار، نفس المرجع، ص 22). وقد قدم الإنسان القربان عندما أحس أنه خاضع لقوى خفية، علوية أخذ يبحث عن طرق لإرضائها عن طريق ممارسة عادة تقديم القربان كي يكون في مأمن عنها، فعن طريق العبادة والقربان والتضحية التي يقدمها كان يعتقد أن الآلهة راضية عنه.

وكانت الآلهة المعبودة ممثلة في مجموعة من الظواهر الطبيعية والغيبية، تحت مسميات متعددة كآلهة الحب والخصب والجمال والشر... إلخ، لقد عبد الحيوانات والأنهار والأمطار كما عبد الأفلاك والأجرام السماوية (القمر، الشمس، الزهرة... إلخ) كان الإنسان يخشى بطشها ولجأ إلى الصلوات والقربان (حيوانية، نباتية، ثم بشرية)، والقربان البشرية التي قدّمها لهذه الآلهة مكونة من طبقات بشرية متعددة (أطفال، رجال، نساء، ملوك، مساجين... إلخ)، كان القربان المقدم (ذكر أو أنثى) يحظى بمباركة الكل وتحت نظر المكلفين بالعبادة والتقرب إلى الآلهة وكثيرا ما اتسمت هذه الظاهرة بالوحشية والدموية إرضاء للآلهة قدمت دماء الأطفال، العذاري، الشبان على النصب والمذابح والمعابد.

ويلاحظ أن سير القربان التاريخي كان يبدأ من أدنى ما يملك الإنسان إلى أعلى ما يملك، ففي البدايات الأولى قدم الإنسان قربانا مكوّنا من عناصر نباتية، ولكنه اعتقد أن هذه العناصر لا تجدي نفعا لأن الآلهة

(الممثلة في غضب الطبيعة) لم ترضى عنه فاهتدى إلى تقديم أجود ما عنده من أبكار الحيوان، حتى بذل دمه ودم أبناءه والآخرين لنيل رضى معبوده وبالإمكان أن نتبع مسار القرابين بين الأهم منها وأكثرها شيوعا لدى الشعوب مع التركيز على القرбан الأثوي في تاريخ البشرية العام :

أ- القرban الحيواني :

تكتسي الأضحية الحيوانية قدسية وقيمة لا يستهان بها، وكانت هذه الأضاحي تقدم للمظاهر الطبيعية (جلب المطر، الخير...) وكان القرban الحيواني يحوّل العنف من فئة بشرية إلى كائنات ليست ذات قيمة أو على الأقل إلى مخلوق لا يستوجب نحرها ثأرا (ديب شعبو أحمد ، 2006، ص 253..)
بينما الاختيار يقع على الحيوانات ذات الفصيلة الأليفة، يعني هنا أنه يختار من بين الحيوانات المضحى بها الأكثر قيمة بالنسبة لفائدتها، والأكثر وداعة، والأكثر رقة، والأكثر علاقة بالإنسان بغريزتها وعاداتها. (رينيه جرار، نفس المرجع، ص 17.)

ويبدو أن هذه المحاولة ما هي إلا تمويه يحاول الإنسان من خلاله أن يخادع بذلك العنف الدموي الذي كان يوجهه للآخرين من البشر في علاقاتهم مع بعض.

وتدوّن الكتب الساموية حوادث تقديم القرابين ومنها حادثة تقديم القرban لابني آدم هاييل وقايل (بسبب أختيهما) فقد قام هاييل بتقديم أحسن ما عنده من الغنم، بينما قايل قدّم أجود ما تنتجه الأرض من حبوب (القمح)، فتقبل الله قرban الأول ولم يتقبل قرban الثاني، وهنا تظهر المفاضلة بين العنصرين القربانين تفضيل العنصر الحيواني على النباي رغم أن الربّ حسب هذا النص، نظر إلى هاييل وقرbanه، فإن هذا القرban لم يفد (قايل) ويفتد به، بل على العكس تماما، فقد كلفه هذا القرban حياته، عندما استباح أخوه دمه، (القميني سيد محمود ، ص 79.) وكانت هذه أولى ظواهر العنف البشري الدموي.

وتطالعنا الأديان والأساطير كذلك عن الذبائح الحيوانية ذات القيمة، أو المحاولة عبر عمليات التأويل إلى أضاحي وقرابين قيمة تصيب الحيوان كأضحية بديلة، بدل الإنسان الضحية الحقيقية، ومن بين التفسيرات الأسطورية لهذه الظاهرة تلك التي جاءت في الأساطير اليونانية ومنها نجاة أوليس في الأوديسة من قبضة العملاق ذي العين الفريدة، عندما وجد أوليس نفسه مع زمرة من أصحابه في مغارة العملاق الذي بدأ بافتراسهم الواحد

تلو الآخر كلما جاع، فاهتدى أوليس إلى حيلة تنجيهم منه، بسفود محترق أصاب العملاق في عينه الوحيدة، فاشتد غضب هذا الأخير بعد فقدانه لعينه الوحيدة، فقام بسد المغارة بجسده الضخم، وكان لا يترك أحدا يمر إلا قطيعه الوديع المكون من خراف بيضاء، يخدعه أوليس عندما يتستر بجلد أحد الخراف وفي محاولة للخروج يلامس العملاق الجلد فيضنه خروفا، فيعتقد أن القطيع وحده هو الذي يمر وهنا ينقذهم القطيع من محتهم.

إن الحيوان (الكبش) هنا هو المنقذ، فكان كبش الفداء وعنف بديل أنقذهم من بطش القوة الممثلة في عملاق والحيوان ينقذ الإنسان وللإبدال الأضحوي أو التضحوي هدف حسب رينيه جيرار هو خداع العنف، وهنا تتوضح معالم جديدة من الفكرة التي جعلت الحيوان وليس أي حيوان بديلا عن الإنسان (البكر، الأليف، القريب من الإنسان...).

فالحيوان المضحى به يكون خاصة من مرتبة الضأن والأنعام دون غيرها من الحيوانات ومع إبراهيم ستطرح مباشرة مقابلة الأضحية القربانية الحيوانية كبديل عن القربان الآدمي كما ستضطلع الأضحية القربانية وظيفتها الحقيقية المتمثلة في طرد وإبعاد العنف والقتل والعداوة وتعويضها بقيم التوحيد والحلم والصبر والطاعة بوصفها قيم الأضحية القربانية المقدسة

(الزاهي نور الدين، المقدس الإسلامي، 2005، ص 92). وهذا النوع من التأويل مطروح في الديانات الساموية الثلاث لإيقاف مسألة قتل الإنسان في سياق مقدس، لذلك كان الحيوان بديلا عن الإنسان في الأضحية (القربان الإسلامي، إسماعيل مثلا ...) المتمركز حول العنف المادي والرمزي المتأصل في الإنسان، فعندما يلجأ الإنسان إلى التضحية بالحيوان ينقص من عنفه الكامن والملازم لفعل سيلان الدم المطهر لذنوب الإنسان، وفي قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل يظهر القربان الحيواني، عندما يتوجه إبراهيم بإسماعيل لذبحه وتصديقه لرؤيا الذبح والفداء ونجد القصة مذكورة في القرآن والإنجيل... وقد جاء في التكوين: ومدّ إبراهيم يده فأخذ السكين ليلا ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء قائلا: " إبراهيم، إبراهيم، قال: هاأنذا، قال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا، فإني الآن عرفت أنك متق الله... فرفع إبراهيم طرفه ونظر فإذا بكبش وراءه ممسكا بقرنيه فعمد إبراهيم إلى الكبش وأخذه وأصعده محرقة بدل ابنه (التكوين، الإصحاح 22، الفقرتان من 9-14).

وفي القرآن: " فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلم وتلّه للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت

الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم (سورة الصافات، الآية 102، 107)، وبسبب ارتباط الدم بالحياة فإن دم الذبيحة الحيوانية (الكبش) هو أسمى أنواع الأضاحي المقدمة للإله. وقد دأبت الشعائر الإسلامية في ركن الحج على إتمامه بالتضحية بالحيوان وقد شرع الإسلام التضحية بالأنعام والضأن تأكيدا لعادة إبراهيم عليه السلام وجعل لها سننا بعيدة عن الأساطير والخرافات ففي العيد - عند المسلمين خاصة يشغل القربان وضعية الابن إسماعيل الذبيح، مثلما يشغل المضحى وضعية الأب في حين يجسد الطقس القصة الإبراهيمية برمتها: يتقدم الأب أسرته ويضحى باسمها ولأجلها، احتفالا بالفرح واللفظ الإلهين... لكن حفاظا على صفاء الطقس ورمزيته القدسية، لا بد أن يتقدم الأب الأمة أو الإمام جميع الآباء الفعليين كي يضحى باسم أمته ولأجلها، تلك الأمة التي تدين بحياتها واجتماعها لحكمة الله المتجلية في إيقاف تحقق الرؤيا الإبراهيمية، مع طقس العيد، يحضر الجسد الإسماعيلي بوصفه مؤسسا للطقس وللجماعة، أي بوصفه أضحية قربانية(الزاهي نور الدين، 2005، ص 11).

فهناك الدنيوي وهناك المقدس وهنا تبدأ الخدعة الممثلة في الأضحية البديلة (حيوان) التي لها شروط (الأبكار، من الضأن أو الغنم، ما أتم ستة أشهر، سليم من العيوب، ...).

ب)- القربان البشري :

عرف تقديم القربان البشرية لدى العديد من الشعوب بالموازاة مع تقديم القربان الحيوانية، وتؤكد الكثير من الدراسات أن الإنسان قدم عناصر بشرية من مختلف الأعمار (الأطفال، العذارى، المنبوزين...) كقربان، وكانت هذه القربان تتضمن الدّم المسفوح فقط من بعض الأعضاء إلى أن توصلوا إلى بتر الأعضاء وتجزئتها إلى قطع وتفضيل أجزاء معينة (الأطراف، الرأس...) ودفنها أو حرقها وذرها في مناطق معينة (لخصوبة الأرض، جريان الأنهار... إلخ).

وقد كانت هذه العادات معروفة منذ أقدم الأزمان (عند عمالقة اليونان القديم وفي القرن الخامس قبل المسيح وعند الفينيقيين وعند اليهود... إلخ) فالبنوقيون مثلا كانوا يضحون بأطفالهم الأبكار، فقد كشفت الأبحاث الأثرية بوجود عظام لأطفال صغار تحت أسس البيوت والمنازل كما كشفت حفائر " كفر الجرة " الكنعانية عن صندوق يضم عظام أطفال تحت تأسيس عمود من سور، كتضحية تأسيس، وفي قرطاج وجدت

عظام أطفال لم تزد أعمارهم على ستة أشهر، وقد حدث في قرطاجة أثناء حصارها سنة 307 ق.م أن أحرق على مذبح الإله الدموي مائتا غلام من أبناء أرقى أسرها، (القميني سيد محمود، 1993، ص ص 81-82). وإذ عدنا دائما إلى تلك العهود لوجدنا أن القرابين البشرية كانت تختار إلى جانب ذلك مساجين الحرب والعبيد، والأولاد والمراهقين غير المتزوجين والمعاقين والهامشيين أو المنبوذين إجتماعيا وفي بعض المجتمعات من الملوك أنفسهم (خاصة في بعض الممالك الإفريقية)، إذ للملك وضعه المتميز عن القبيلة، (شعبو أحمد ديب، 2006، ص 257). كما تختار أجمل النساء والعداري والأبكار للتضحية بهن وإسكات غضب الآلهة حسب معتقداتهم وشعائهم كما توجهت قربان بني إسرائيل إلى الملوك والتضحية بهم، لأنهم اعتبروهم المسؤولين المباشرين عن المصائب والنوازل التي حلت بهم أو ستحل بهم لاحقا (فطيرة اليهود + الدم).

كما كان الأمر مستشريا بين البعض من القبائل البدائية، فيقتلون الكبير لتخصيب الأرض وزوال الكرب وتوفير المحصول، والتخلص من عبئه، ومع مرور الزمن استعاضوا عن الملك بالاقتراع على المضحي به، ثم استبدلوا بالقرعة مجرما محكوما عليه بالموت (القميني سيد محمود، 1993، ص 83). وذكر أنه من عادة بعض القبائل تقديم السجين أو المحكوم عليه بالموت والأسير إلى الآلهة، فمثلا العرب كانوا يقدمون الأسير إلى الزهرة (كوكب يعبد)، ضحية يذبح وقت طلوعها، ومن قصص القرابين المشهورة عند العرب إضافة إلى إبراهيم وإبنة قصة عبد الله والد الرسول (ص) عندما أراد والده عبد المطلب (نحو 45 ق الهجرة 579م) تقديمه للآلهة/ إساف ونائلة فسأل العرافة فأشارت بالفدية (البديل) والفدية تضمنت عددا من الإبل، والعرب كغيرهم من الشعوب كانوا يعبدون مجموعة من الآلهة تعبد وتقدم لها الأضاحي والقرابين بحيث لا يستبعد تقديم قربان بشرية لها، كما في شخص العزى، وربما كان مثال (المندر بن ماء السماء) ملك الحيرة الشهير (505م - 554م) الذي قد يكون قدم للعزى أربعمئة قربان بشري، وجميعهم من أسرى الحرب السامانية، وكذلك فإن وأد البنات لا يستبعد اعتباره، ضمن إطار هذا المفهوم (إبراهيم محمود، الضلع الأعوج، 2004، ص 47).

وفي المسيحية يعد عيسى ابن مريم أكبر قربان بشري فدى البشرية من خطاياها الأبدية، فالمسيحيون يعتقدون (حسب التوراة) أن الجنس البشري قد تعرّض للهلاك الأبدي بسبب عصيان المرأة وإغواءها لزوجها آدم لولا ما تفضّل الله على الناس بنعمة الفداء (محمد الخولي هند، 2001، ص 53). ويفسر معنى الصلب في المسيحية كذبيحة وقربان، الممثل في جسد المسيح ابن مريم الذي محى خطايا البشر، ففي الصلب يطلب

الرب الغفران للإنسان من خطيئة الحياة، ويقدم نفسه قربانا على مذبح الخطيئة (الخوري فؤاد إسحاق، دون سنة، ط1، ص 63)، فحسب اعتقاد المسيحية، وحسب ما ورد في موثقتهم فإن دم العهد يراق من أجل جماعة الناس لغفران الخطايا (متى، الإصحاح 26، الفقرة 28).

ومن الشعائر الممارسة في المسيحية فيما بعد، وعند تعسر الأحوال كانوا يكتفون بفطيرة في صورة إنسان، أو بفطيرة مرسوم عليها إنسان وتحول ذلك تدريجيا إلى نوع من العشاء الرباني يؤكل فيه الخبز رمزا للجسد وتعاقر فيه الخمر رمزا للدم. (القمني سيد محمود، 1993، ص 83). وهنا كذلك حدث نوع من الإبدال أو الاستبدال الرموزي الأضحوي الفطيرة البديل للجسد والخمر البديل للدم، والدم المعني هو دم المسيح ابن مريم، القربان الأكبر بحيث عندها بالذات يعلن عن موت المسيح حتى يعود ثانية بقوة القربان الذي مثل جسده بعد الصلب، (مفلح فيصل، 2003، ص 38). وقد تحدد فعل القربان أيضا عبر ممارسات أخرى عرفت في مناطق مختلفة وعند شعوب متنوعة.

ومنها مثلا تلك الطقوس المكررة في ذكرى عاشوراء والدم المراق عبر الأجساد المستعرضة في الذكرى، فللدم عند الإنسان قيمة معتبرة ورمزية تخفي الرغبة الدفينة فيه، المتعشقة للدم المراق بطرق إيمانية جسدها فعل القربان بشكله الأسطوري والقدسي ذي الطابع التعبدي الذي يرجع إلى ذكرى عنف جماعي مؤسس وهنا يظهر الدور الأساسي والفعال للعنصر الديني في حياة الجماعة التي تخلق له قوى غيبية دائمة الحضور ويتداخل العنف بالمقدس ليكمن في النفس البشرية التي تترجمه إلى أشكال وأصناف.

كما أن ثمة معتقدات أخرى تتعلق بتلك العملية الممثلة في علميتا الختان والحفاض وفيهما يتم إزالة جزء من القلفة أو البظر وهي عادة سائدة وفي كثير من أرجاء العالم وتتم عملية الختان في الغالب قبل سن البلوغ ويذهب البعض إلى أن عملية الختان قربان لآلهة الخصوبة ويقول البعض الآخر أنها اختبار للقدرة على احتمال الألم. (يونس عبد الحميد، 1983، ص 116).

وانتشرت هذه الطقوس خاصة في العالم الإسلامي، والتي يدّعون أن الأساس فيها حسب بعض الباحثين في بتر جزئي لزوائد في الإنسان بديلا عن الذبيح الكلي، للتطهير والقداسة، وفيها طقوس للمرور من مرحلة لأخرى أو من وضع لآخر. وفي هذا السياق فإن للدم رموزيته المسبوقة في الاعتقاد الأسطوري وفي المخيال الاجتماعي كرمز للأصالة والشرف ورمز صيانة الأعراض وقداسة وإذعان للآلهة وأوامرها.

(ج) العذارى كقرايين بشرية :

لا يفوتنا في هذا الإطار الإشارة أو تناول جزء من هذه الجوانب الأسطورية الداخلة في نظام تقديم القرابين البشرية التي كان بعض عناصرها صبايا وعذارى قدمن للآلهة (في الأنهار، الوديان، النار، المعبد، الجبال، البحار... إلخ)، فقد كانت البعض من التقاليد في بعض المجتمعات القديمة تقتضي بأن تشق الصبايا العاريات الأثلام الأولى بواسطة المحراث رغبة في إحداث خصوبة أوفر قدرا في الأرض. (شعبو أحمد ديب، 2006، ص 258).

وانتشرت هذه العادات واستشرت عبر مناطق الانتشار إلى مناطق ودوائر أخرى، وهذه المراسيم ارتبطت بمواسم كالأعياد والعادات الزراعية والحصاد ومظاهر الطبيعة الغاضبة (فيضان النهر، ثوران البركان...). كما أن هناك صبايا كن منذورات للآلهة يقدمن في احتفال طقوسي خاص بمواسم البذر والحصاد، فعند شعوب الأستك مثلا ما إن يظهر رسيم القمح في الحقول حتى تذهب القبيلة إلى الحقل لتحضر إله القمح، وهو عبارة عن نبتة صغيرة يؤتى بها إلى البيت، وتقدم لها الهبات الغذائية، وفي المساء تؤخذ النبتة إلى معبد آلهة الأغذية حيث تتجمع فتيات، تحمل كل منهن سيع سنابل من الحصاد السابق، وتختار الصبايا من ثلاثة أعمار مختلفة توازي مراحل نمو الذرة وتكون ساقا الفتاة مكسوتين بالريش الأحمر، وهو لون آلهة الذرة الرمزي، وبعد ثلاثة أشهر أي حين تنضج الذرة، يقطع رأس صبية ترمز إلى آلهة الذرة الجديدة الأمر الذي يجعل أكل هذه الأخيرة مشروعا (Durand (Gilbert), 1980, pp 353-354)، في نهاية الحصاد يقوم الإستك بالتضحية ثانية بجسد امرأة، يمثلون بالآلهة توسي، فيسلخ جلدها ويغطي الكاهن به جسده ويحمل قطعة من ساق الأضحية أو الضحية إلى المذبح، حيث يقف الكاهن الثاني ويلقب بالنفساء - امرأة تلد - مقنعا لإتمام طقوس ومعناه أن الفتاة المقدمة كقربان ستولد وتحمي من جديد من الذرة الجافة (Durand (Gilbert), 1980, p 354).

ونجد ذات السلوك في إفريقيا إلا أن جسد الفتاة يدفن في أماكن متعددة من الحقول من أجل الحصول على الإخصاب كما نجد من يعمد إلى طحن عظامها، وبتر أعضائها والطهي على نار وشعوب البحر المتوسط تلجأ إلى الخنق والإغراق (كما كان يفعل المصريون عندما يرمون بعذراء في نهر النيل كي يفيض ويعم الخير والخصب والنعم...) (الجرمانيين يعمدون إلى الطمر ودفن الضحية والعرب كانوا يلجئون إلى الوأد، أو الدفن كذلك وهي على قد الحياة).

كما انتشرت هذه العادات في قبائل أخرى أمريكية، وأسترالية واندونيسية، وتكررت في مناطق عديدة من العالم، طقوس القرابين، والقرابين البشرية تحديدًا، ظاهرة علمية، كانت تمارس أثناء طقوس الزراعة (Durand, 1980, p 354), ونجد الصينيون قديمًا يعهدون بالبنت إلى النهر الأصفر ويسمّون الظاهرة بالزواج من النهر الأصفر.

والفراعنة يختارون فتاة جميلة، بكرا، يزينوها ويقدمونها كقربان كل عام إلى النيل، يرمونها مقيدة، مغلولة للنهر، كي يفيض ويعم الخير، فإن ماتت دلّ ذلك على أن الآلهة راضية وعامهم سيكون خصبا بينما إذا حدث العكس سيعمّ البلاء والكساد والمجاعة وعندما فتح العرب مصر وجد عمرو بن العاص أهل مصر يصرون على تنفيذ عاداتهم فأبطلها لأنها بدعة وخرافة وجزء من الأساطير والعبادات اللامعقولة.

ويلاحظ أن من الأضاحي من يراق دمها (بالبتر، أو التقطيع، أو الغرز...) ومنها ما كان يخنق، ومنها من يدفن تحت الثرى حية أو الواد والتعريض للوحوش أو الطهي... إلى غيره من الممارسات ذات البعد الوحشي الذي لا يرتضيه العقل أو يصدقه إلا أن الإنسان في ماضيه الغابر مارسه وأعطاه بعدا أو طابعا قدسيًا بمباركة جماعية.

لقد عمدت الكثير من الأمم والشعوب إلى تقديم القرابين والأضاحي في سبيل إرضاء الآلهة، لاعتقادهم في التناسخ والحلول، والمعتقدات والأفكار الوهمية الأسطورية تضمنت عناصر حيوانية وأخرى بشرية خاصة الممثلة في الصغار والعذارى والصبايا الجميلات والمزينات ليقدمن إلى الآلهة، وبقيت هذه الطقوس جزءا من الذاكرة الإنسانية المشحونة بالمتناقضات تناقض النفس الإنسانية وهواجسها وتهميماتها، كانوا يستطيعون التضحية بالعين، بالعضو، وحتى بحياتها (den). Keth (yerkes), 1955, p 20), لم يكن القربان أبدا حدث مفرح وإن بدى في ظاهره واحتفاليته إلا أن حقيقة فكرة القربان والأضحية هي دائما محزنة، تتضمن نوع من النحس، هو على الدوام يمثل الشؤم الواقع على من يقدم كنوع من الأضحية أو القربان (den). Keth (yerkes), 1955, p 21).

وفي إطار المجتمع الذي يقدمها أبدا لم تكن لتمثل هذه المظاهر (التعاسة، عدم الرضى أو الشؤم) بل كانت تمثل احتفالية مشوبة بالفرح والمباركة الجماعية الإرادية المفعمة بالطقوس والصلوات وما بقاياها الأسطورية أو القصصية (ما نجده في القصص من بتر للأعضاء، القتل...) إلا بقايا طوطمية أصلية كان لها جذور وبقايا

ارتبطت بتقديم البشر كقرايين جالبة للخير أو طاردة للشر. (den). Keth (yerkes), 1955, (pp41- 64).

(3)- الوأد بين قربان وعار :

كشف القرآن الكريم عادة الوأد التي لا يمكن طمس ماضيها الوثني أو تناسي حقيقة ممارستها المنتشرة عند بعض القبائل العربية قبل الإسلام، إنها تلك الظاهرة التي عمد إليها العرب بقتل البنات دون الذكور، وكانت الفتاة التي يقع عليها فعل القتل تسمى بالموؤدة أو الوئيدة: وإذا الموؤدة سئلت، بأي ذنب قتلت (سورة التكوين، الآيتان 8، 9)، وينبأ هذا الفعل عن المكانة التي احتلتها المرأة بين هذه القبائل، بحيث تحمل الفتاة أو المولودة الحديثة أو بعد بضع سنين الست سنوات تقريبا إلى حفرة يحفرها الأب كي تطمر فيها دون أدنى اعتبار لإنسانيتها وكثي را ما يبرر الفعل تحت غطاء ديني وفي أحيان أخرى يربط بالظروف الاجتماعية، من خلالها يحاول العربي الهروب من القيود الاجتماعية المفروضة على المرأة نتيجة لممارسات وعادات سادت الجزيرة العربية ومنها سبي النساء في الحروب والغزوات وأيضا نتيجة للفقر والإملاق والعوز وحماية العرض من الدنس، وما هذه الأسباب إلا واجهة يتحجج بها أصحابها هروبا من اللوم أو العار اللاحق بهم، وهناك من مارسه دون سبب أو حجة، أي كعادة تمارس دأب عليها الناس في ذاك الزمان.

وقد تتراجع مبررات التذرع بالعار، تجاه حالات افتداء الموؤدات وتبنيهن خارج أسرهن منعا للوأد رغم أن هذا النوع من الانتقال يؤمن نسبيا حمايتهن للوهلة الأولى عندما يبدو المتبني أكثر ثراء وقدرة على القيام بذلك (الأنصاري فاضل ، 2001 ، ص 242)، لتنفى الفرضية التي تقول أن الوأد متعلق بالفقر أكثر فبماذا نبرر إقدام البعض على وأد البنات رغم ثرائهم وتوفر المال والحماية ؟.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن الوأد تعلق أيضا بعلل وتشوهات حملتها الفتاة الموؤدة كالرّسح والكسح والزرق... إلخ وكان العرب يتشاءمون من الزوائد الجسدية أو الألوان الغريبة وكلها عوامل سهلت قبول الظاهرة وتخطي الشعور الإنساني تجاه البنت الموؤدة وذكر بهذا الخصوص أن والد سودة بنت زهرة وهي عممة وهب والد آمنة أم الرسول، أرسل أبوها لوأدها، لعله جسدية ظاهرة فيها، ثم تركها وصارت كاهنة شهيرة). الأنصاري فاضل ، 2001 ، ص ص -243.242)

ولكن أهم سبب أرجعه الباحثين إلى اعتقاد أسطوري/ ديني يتعلق بتقديم الفتيات كقربانين للآلهة مثلهم في ذلك مثل سابقهم الذين كانوا يقدمون الفتيات للآلهة (النهر، النار.. إلخ) بقتلهن أو سفك دمائهن وإغراقهن أو حرقهن، فالدافع إذا هو دافع ديني بحت ، وذلك أنهم يعتقدون أن البنت رجس من خلق الشيطان أو من خلق إله غير إلههم وجب التخلص منه والدوافع الدينية والمقدسة للوآد كثيرة ومنها اعتقاد أن الملائكة بنات الله، والبنات من جنسهم، يلحقن بهم وهذه النسبة تعتقد بأنثوية الملائكة: أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا (سورة الصافات، الآية 115)...وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا (سورة الزخرف، الآية 19). وهذا المعتقد يفسر حب العرب للذكور دون الإناث، ويصنع الأسطورة العربية المتعلقة بعبادة بعض الأصنام، والإقدام على فعل الوآد كقربان وتقرب لها وهنا يحضر صنم عربي على صلة وثيقة فنولوجيا بالفعل وأد إنه الإله " ود " إله القمر، الأمر الذي أدى إلى النظر إلى وآد البنات في الجاهلية على أنه كان مقدمة وقربانا لإله القمر " ود " حيث كانت المؤودة تدس في رمال الصحراء وذلك في اعتقاد الجاهلين أن القمر سوف يأتي ليلا، فيتقبل الضحية المقربة إليه(الجزار محمد فكري، معجم الوآد، 2002، ص 104). وهنا تظهر العلاقة الأسطورية الرابطة بين الإله ود وظاهرة الوآد المشتقة لفظيا منه.

ويبدو أن هذا الاشتقاق يتخذ مبرره الأسطوري ليفسر الظاهرة أي ظاهرة القربان الاجتماعي الذي ساد الجزيرة قبل الإسلام، بحيث يظهر أن العربي لا يعتقد جازما أن الوآد هو ذاته القتل، لأن الفعل هنا لا يتطلب سيلان أو سفك الدم أو إراقته، بل دسّ تحت التراب أو ترك في الفيافي، ويلاحظ أن المؤودات لم يمتن كلهن بدس أو ضياع بل منهن من التقطهن آخرون أو فداهن وتربن في وسط غير وسطهن.

إن الإناث (القربان البشرية) يمثلن الإناث الميتافيزيقيات (الملائكة) باعتبارهم إناثا وبنات لله والإله ود هو الوسيط في هذه العملية، وذكر في كيفية الوآد أن الرجل كان يقوم بحفر حفرة فإذا بشر بأنثى ولم يشأ الاحتفاظ بها واراها في الحفرة أو أنهم يقولون للأم بأن تهبي ابتتها للوآد بتطيبها وتزينها، ثم يأخذها أبوها إلى الحفرة التي أعدت مسبقا، فيدفعها فيها ويهيل عليها التراب حتى تستوي الحفرة بالأرض، وقد يقوم بإغراقها أو بذبحها بدلا عن ذلك، ويمكن أن يقوم العبيد في بعض الحالات بتلك المهمة بدلا عن الأب وليس للأم حقوق الاعتراض، وقد تكلف هي نفسها أحيانا بدفن الوليدة بدلا عن الأب أو العبد، في حفرة أعدت سلفا بمجرد اكتشاف أنها أنثى (الأنصاري فاضل، 2001، ص 244).

وهذه الأمور يصعب تفسيرها لأن مبرراتها معقدة ومتعددة منها تغلغل المنظور اليهودي الذي يربط المرأة بالعار والدنس والحق في قتل الأولاد قربانا للرب ومنه وأد فقر وإملاق للتخلص من كلا الجنسين، ووأد عار وهنا توأد الأنثى دون الذكر خوفا من الأسر وجلب العار للقبيلة والأب (مارسته كندة وطي وقيم وربيعة) ووأد أسطوري يعتقد أن الأنثى رجس من خلق الشيطان ومن الواجب التخلص منها. وفي كل الحالات الفتاة هي الضحية وقد حرّك القرآن الكريم فظاعة وبشاعة الظاهرة في الكثير من المواضع، ومع ما تقدم من مبررات وحجج وحتى مجيء الإسلام، فقد عرف الوأد ومورس عند قبائل عربية كبيرة مثل كندة ومضر وقيم، ومارسه البعض من الصحابة قبل الإسلام كعمر بن الخطاب الذي أقرّ بذلك، وقلة أخرى يذكر أنهم نجّوا فتيات من الوأد بتبنيهم ومنع الوأد عنهن أو بشرائهن كصعصعة بن ناجية من أشراف تميم، جدّ الشاعر الفرزدق الذي قيل أنه أنقذ ما بين المائتين إلى أربعمائة وثيدة وفي ذلك يقول الفرزدق:

وعَمّي الذي منع الوائدات وأحيانا الوئيد فلم يوأد (الأنصاري فاضل،
2001، ص 244).

حتى مجيء الإسلام الذي نبذ وحرّم هذه العادة الوحشية التي مارسها البعض من العرب في جاهليتهم بسبب - خاصة- التقرب من الإله والأوثان.

4-البكارة والدم:

يعدّ الزواج شأن اجتماعي واعتقادي/ ديني لدى الكثير من الشعوب، خاصة الإسلامية، ينبني على العلاقة التي تجمع الرجل بالمرأة من خلال مجموعة من الروابط، خاصة الرابطة الجنسية ذات البعد الاجتماعي، وفي هذا النوع من المجتمعات خاصة شعوب البحر المتوسط تولي هذا الرباط أهمية وتضرب حصارا منذ البلوغ على الفتاة كي تحمي عذريتها وخاصة منها المناطق المغاربية التي تعتبر العذرية هاجس عائلي يمثل الشرف للجميع (Sous la direction d'elizabeth paquot, , 1983, p 349.)

إن هذا النوع من الروابط يركز على المرأة في جزء يتعلق بها هو العذرية أو البكارة التي تعتبر شهادة شرف وحسن سلوك وتربية وأخلاق إن العذرية هي قضيتها، تقدم كأضحية ليلة الزواج، وذلك عن طريق التشهير والعرض الذي يضمن إنها احترمت العرف، كعرض إزار ملطخ بالدم (Sous la direction d'elizabeth paquot, , 1983, p 350.) علامة فارقة على أنها عذراء وهنا :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم (الخوري فؤاد إسحاق، دون سنة ، ص 61).

إن الدم المراق يتعلق بجزء من كيان المرأة الذي يمنعها من إقامة أي علاقة جنسية خارج إطار الزواج، فيظهر بذلك أن الاسم عذري هو استثناء أنثوي، وكل النعوت التي سترافقه تشترك معه رمزيا كالقول أرض عذراء، موضوع عذري، صورة صافية وكل ما لم يلامسه الرجل (Sous la direction d'elizabeth paquot, , 1983, p 348.

وكثيرا ما اعتبرت العذرية والبتولة والبكارة أمورا مقدسة موكلة لرجال الدين لتقديم كل فتاة نفسها إلى المعبد كي تفض بكارتها ولم يكن الأمر مذموما لأنه يرتبط بالمقدس والدين ومباركة الجميع ولم يكن للمرأة الحق في ممارسة الجنس بعد هذه العملية المقدسة وكذلك العملية المتعلقة بإفتضاض الملوك للعذراوات... إلخ إن العذرية تمثل قيمة اجتماعية لدى العديد من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، دم العذرية الذي يسيل في سبيل الزواج أو دم الشهيد أو دم الثأر والثائر، أو العاشق والمعشوق طاهر مطهر، وهذه الحالات كلها تدل على فعل الإرادة (الخوري فؤاد إسحاق، دون سنة ، ص 61).

وعلى العكس من ذلك يعدّ الدم المسفوح لأجل طعام أو دم الحيض والنفاس نجسا منفرا ومجتنبا، ويدور محور الشرف و" النيف " كما ينطقه الجزائريون بجزء من كيان المرأة يتعلق بالفرج والفرج يساوي الشرف والشرف هنا يمس الرجل من قريب ومن بعيد (سواء كانت الزوجة أو القريبات...) والعذرية علامة دالة على القوة والسلطة، الرجل يقوم بالتضحية عن طريق أو بمساعدة الطقوس والاحتفاليات كي يبعد قوى الشر (Sous la direction d'elizabeth paquot, , 1983, p 349.

عن طرق حمايته والدفاع عنه ولو كان الدفاع القتل عينه، ففي بعض البلدان العربية كمصر واليمن، يستنفر القوم بعضهم بعضا وخاصة من أقارب العريس والعروس، للشهادة على عذرية الفتاة في ليلة زفافها، ليلة الدخلة، فإذا سال دم العذرية حصل الشرف، وابتهج القوم بالزغاريد، فالفتاة بكر بشهادة الدم المراق على جوانبه (الخوري فؤاد إسحاق، دون سنة ، ص 59)، بدون العذرية لا يكون الشرف الذي يستحوذ على حياة الفتاة في المجتمع الذي يعطي قيمة كبيرة له ويقدر الحياة الزوجية وبدايتها التي تنال الاستحقاق بعد تحقق الشرف المتعلق بجزء من كيان المرأة.

حيث لا يكون الزواج موفقا، ولا يكون الزوج محترما إذا رضي بما لم يرضي الجماعة ويقره العرف والدين، ويلاحظ من خلال هذه العملية أن المجتمع لا يبحث شيئا في سلوك المرأة وتصرفاتها التي قد تخفى أو تواربها لأن العذرية تتمثل في المقام الأول في غشاء المهبل، أكثر مما هي حالة من الطهر الداخلي، وصون العذرية يعني صون هذه القطعة الجلدية التي ينتظر الجميع أن تسيل دما لحظة الإفتضاض (جسوس نعمان سمية، 2003، ص 175).

ويلاحظ أن هذا الأمر هو محط تقديس من قبل الكثير من المجتمعات وكذا الأديان خاصة المجتمعات الإسلامية والدين الإسلامي، إلى جانب أديان أخرى توحيدية أو وثنية فقد كان للأبكار عند الأزيك والإنكا وضع خاص، وكن كثيرا ما يقدمون قربانين إلى الإله المعبود، وكانت آلهات البانيثون جميعا أبكارا، ونجد عبادة المرأة الطاهرة والرمزية التي تمثلها مجسدة في عبادة بيستا، إلهة الرومان، التي كانت كاهناتها، وخادماتها من العذراوات (جسوس نعمان سمية، 2003، ص 175).

وقد أعلنت الديانة والتعاليم المسيحية من شأن العذرية باعتبارها عربونا العفة والشرف، لذلك حطت من قيمة الزواج وأعلنت قيمة البتولة (الكهان...)، والإسلام بدوره وإن لم يستنكر الشهوة الجنسية في إطار وحيد (الزواج) عكس المسيحية إلا أنه فضل الأبكار والعذراوات وقاصرات الطرف والمطهرات، العفيفات، الشريفات ذوات النسب، اللواتي لم يطمئن ولم يمسسن إلا من الزوج، العرب، المقصورات في الحيام، المحصنات لفروجهن، العذراوات (مريم العذراء...)، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية الحاثئة على ذلك ومنها آل عمران الآية 15، والصفات الآية 48-49، والرحمن الآية 56-57 والواقعة الآية 35-38، الأنبياء الآية 91، التحريم الآية 12... إلخ.

وكذلك أحاديث وردت على لسان الرسول (ص)، لذلك كانت هناك دعوة كبيرة للنساء المسلمات لصون العرض والشرف والعذرية، دون أي اتصال جنسي إلى حين الزواج حينها فقط تتقدم العروس الحشد ملفوفة بالأبيض الذي يحجب لون دم البكرة، مثلها في ذلك مثل القربان الطقوسي الذي يتقدم الحشد وهو سائر نحو مكان نحره، بين العروس والقربان قرابة هي ذاتها القرابة بين الألوان المتعددة لدم الجسد الإسماعيلي (الزاهي نور الدين، 2005، ص 11).

جسد الفتاة معرض إن لم يثبت جدارته عبر مفهوم العذرية الذي يرمي عدم وجوده إلى العار والتحقيق وحتى القتل أي معرض للموت (الذبح... إلخ)، وعند إثبات العذرية يثبت الشرف والرفعة بحيث أنها تعرض على

الأنظار قماشاً مبقعاً بدم غشاء البكارة المفترع (جسوس نعمان سمية، 2003، ص 177). وقد سرت عادات العرض هذه العديد من المجتمعات خاصة المجتمعات العربية الإسلامية ولا زالت إلى يومنا في العديد من الأقطار، فليلة الزفاف بالنسبة لهذه المجتمعات هي بدون منازع اللحظة المشهودة التي تصير فيها الفتاة امرأة بمرأى من الجميع، حيث يقوم الرجل بإفتضاضها، وهذا يجعلنا نتصور فداحة الفقد عند العروس التي تضيق عذريتها (جسوس نعمان سمية، 2003، ص 179). وكما هو مرسخ عبر العادات، التقاليد، الأعراف والطقوس والشعائر الخاصة بقضية الزواج فإن العديد من الممارسات أو لنقل الأحداث فيما مضى وحتى آنيا لا تمكننا من الحديث عن اتصال جنسي في ليلة الزفاف، بل هو في الواقع اغتصاب ، يشجع عليه النظام الاجتماعي الذي لا يهدف منه إلا أمر واحد هو إسالة دم الضحية حرصاً على المظاهر، تلك المظاهر أو المظهرية التي تعطي لشرف قيمة وأهمية لا تضاهيها قيم ومعايير أخرى، وتتجلى القيمة إن حادت المرأة عن هذا الجانب المتعلق بالشرف الذي باسمه قد تقترف المذابح وتلاقي المرأة حتفها بصمت مثلها في ذلك مثل الأضحية القربانية وذلك إن لم تثبت عذريتها وجرت العائلة إلى العار -الذي يمس محيطها من قريب أو من بعيد-.

خاتمة:

إن لهذه العادات والأعراف تجذراً وعمقا يدعمه ويؤيده الدين ورجالات الدين والمجتمعات المعروفة بهذا النوع من الممارسات خاصة المتعلقة بإضفاء نوع من القيمة على الدم الطاهر ومنه دم البكارة بحيث يعتبر عرض ذلك الدم عادة شديدة التجذر والرسوخ، لا يهتم معها الثمن الذي تتكلفه الأسرة لصون بكارة فئاتها فتقاليد صون العذرية يحرص عليها المجتمع وأفراده، فتحاط بمجموعة من النواهي والمحرمات والممنوعات المتصلة بالوظيفة أو الرباط الجنسي، وإن تعرضت للهتك قبل موعدها تعرضت المرأة للعقاب الذي كثيراً ما يتخذ شكلاً عنيفاً كعنف القربان وأشكال العنف الممارسة على المرأة في كل المجتمعات الانسانية إلى يومنا هذا.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم محمود، الضلع الأعوج، المرأة وهويتها الضائعة، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2004 .
3. الأنصاري فاضل، العبودية، الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي، سوريا ، الأهالي للطباعة والنشر و التوزيع ، ط1، 2001 .
4. التكوين، الإصحاح 22، الفقرتان من 9-14.

5. الجزار محمد فكري، معجم الوأد، النزعة الذكورية في المعجم العربي، القاهرة، إبتراك للنشر والتوزيع، 2002.
6. جسوس نعمان سمية، بلا حشومة، الجنسية النسائية في المغرب، ت : عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء/ بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2003.
7. الخوري فؤاد إسحاق، إيديولوجيا الجسد، رموزية الطهارة والنجاسة، بيروت، دار الساقى، ط1.
8. ديب شعبو أحمد، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفلكلور في الفكر الإنساني، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2006.
9. رينيه جزار، العنف المقدس، ت : جهاد هواس، عبد الهادي عباس، دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1992.
10. الزاهي نور الدين، المقدس الإسلامي، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2005، ص 92.
11. فريق من الاختصاصيين، المجتمع والعنف، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1993.
12. القميني سيد محمود، الأسطورة والتراث، القاهرة، سيناء للنشر، ط2، 1993.
13. محمد الخولي هند، عمل المرأة ضوابطه وأحكامه وثمراته دراسة فقهية مقارنة، دمشق، دار الفارابي للمعارف، 2001.
14. مفلح فيصل، القربان في تطور الوعي والجسد، دمشق، دار الينايع، ط1، 2003.
15. يونس عبد الحميد، معجم الفلكلور، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1983.
16. Sous la direction d'elizabeth paquot, Terre des femmes dans le monde, Paris, la découverte/ Maspero, 1983.
17. Durand (Gilbert), Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, Berg international, 10 e édition, 1980,
18. (den). Keth (yerkes), Le sacrifice dans les religions grecques Roy et romaines et dans le judaïsme primitive, Paris, ed Payot, 1955,